العدد الثالث

ذو الحجـــــة : (١٤٢٧هـ) يناير(٢٠٠٧م)

فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس.. بين الاتباع والابتداع

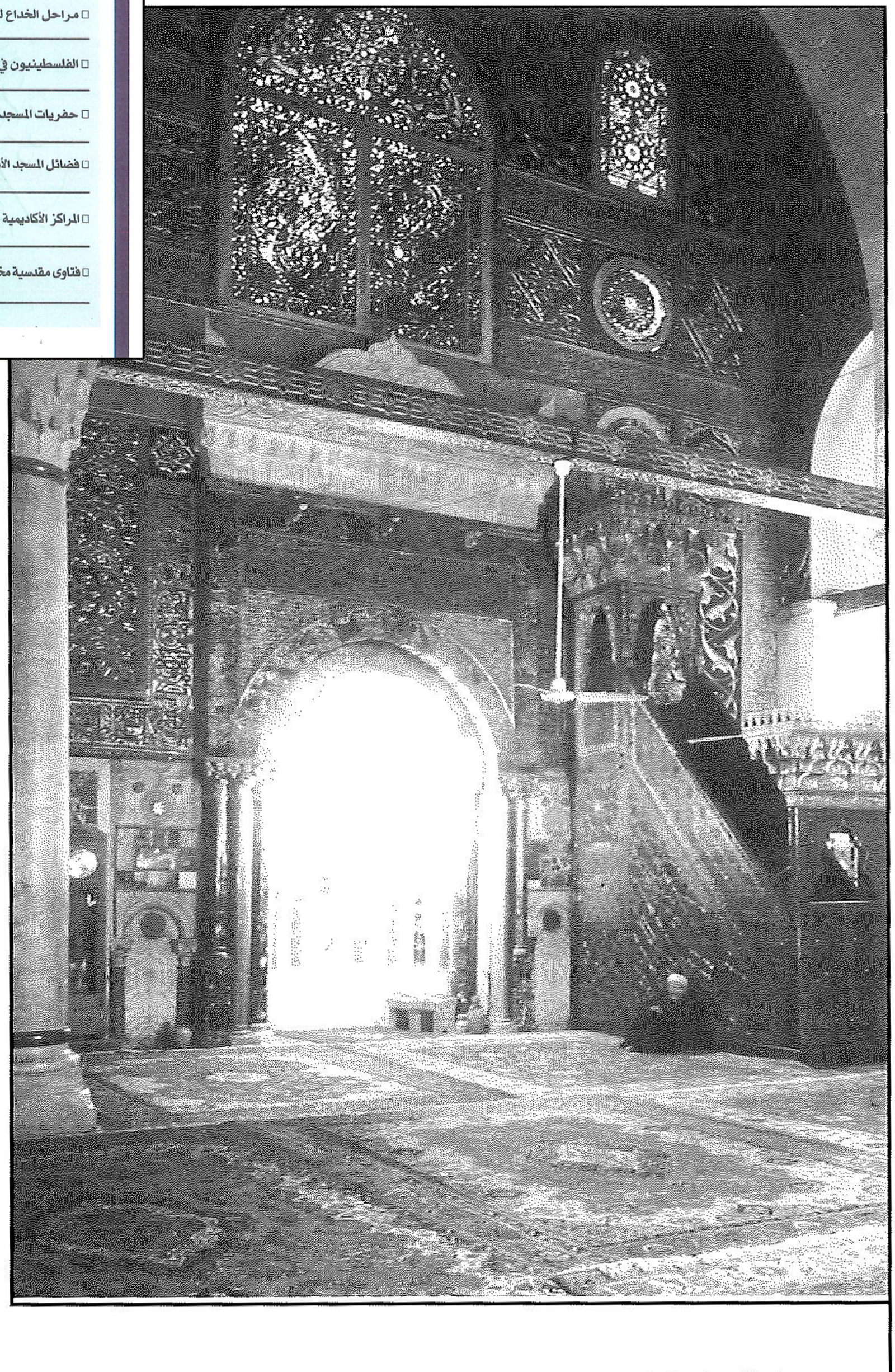

□ محراب المصلى الجامع.

□ منذر قاسم المشارقة

فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس بين الاتباع والابتداع

من الأمور التي اهتم بها السلف وهي من أصولهم الحث على اتباع السنة والتحذير من البدعة ، امتثالا لقول النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية بأن «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله» ، و «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» . متفق عليه

وإننا من خلال هذا المبحث نسلط الضوء بمشيئة الله على بعض البدع والاعتقادات الخاطئة في المسجد الأقصى والقدس التي يمارسها بعض المسلمين قديما وحديث ، وقد نوه على كثير منها العلماء السابقون كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم رحمهم الله جميعا ، وقبل البدء بذكر هذه الأخطاء والبدع لابد أشير إلى مفهوم البدعة وأسبابها وخطرها على الفرد والأمة .

البدعة هي الطريقة المخترعة في الدين ويقصد بها التقرب إلى الله ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح

* البدعة في اللغة لها معنيان :

- الشيء المخترع على غير مثال سابق كقوله تعالى : ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ أي لم أكن أول الرسل .

-التعب والكلل مثال : أبدعت الإبل أي تعبت .

* البدعة شرعا :

هي الطريقة المخترعة في الدين تضاهي الشريعة يقصد بها التقرب إلى الله ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح أصلا أو وضعا .

أنواع البدع

* البدعة نوعان :

1-الحقيقية : التي لم يدل عليها دليل شرعي لا في كتاب ولا في سنة . . . وسميت ذلك لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق .

2-الإضافية : فهي مشروعة باعتبار وغير مشروعة باعتبار آخر فمثلا الاستغفار عقب الصلاة على هيئة الاجتماع ورفع الصوت فان الاستغفار في ذاته سنة وفي اعتبار هيئته من رفع الصوت واجتماع المستغفرين بدعة .

مصادر الابتداع

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة :

الجهل بمصادر الأحكام ومتابعة الهوى وتحسين الظن بالعقل من أبرز أسباب الابتداع في الدين

1- الجهل بمصادر الأحكام الشرعية وبوسائل فهمها من مصادرها :

2- متابعة الهوى في الأحكام الشرعية فبعضهم يدفعه غرضه إلى تقرير حكم الذي يحقق غرضه ثم يأخذ يلتمس الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به .

3- تحسين الظن بالعقل في الشرعيات : تقديم العقل على النقل .

ومنه اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

●●●

ومنه حمل جميع أفعال النبي على التعبد الذي يجب التأسي به مع أن

كثيرا منها عادي لا تعبد فيه كالجلوس على صفة معينة لم يترتب عليها ثوابا وذلك لأنها من الأمور الجبلية التي جبل عليها الإنسان ، وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشرع ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله .

مضار الابتداع

ولو أن مضار المبتدع تقف عند المبتدع وحده لهان الأمر ولكنها تصيب الدين نفسه فالمبتدع بفعله هذا يغتصب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله وحده سواء قصده المبتدع أم لم يقصده ، ولا شك أن المبتدع بمسلكه في تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعي وفي دعوة الناس إليها هو بعينه مسلك الذي اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذي لا يكون إلا لله وهو بذلك أيضاً يوقع الناس في اعتقاد أن ما ليس من الدين دين .

وفي هذا المعنى قال الإمام مالك رحمه الله : «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة : من الآية3) ؛فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم دينا . فالمبتدع يكون بذلك : ضالاً وعليه وزر عمله وأوزار الذين اتبعوه» .

الابتداع في الدين فيه اغتصاب لحق التشريع الذي لا يكون إلا لله وحده سواء قصده المبتدع أم لم يقصده

- وأما ما يصيب أتباعه : فهو الحرمان من الثواب لأنهم يعبدون الله بالبدع التي لم ترد ولهم بذلك كفل من العمل في هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون - وأما ما يصيب الدين نفسه : فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله .

●●● - وأما ما يصيب الأمة التي دخلت البدع في دينها : إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام قالت عائشة رضي الله عنها : ألا إن نبيكم قد

برئ ممن فرق دينه واحترب - أي خاصم في ذلك - وتلت قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾(الأنعام : من الآية159) .

* البدعة أخطر من المعصية : فالبدعة أخطر وأعظم على صاحبها من وجوه منها أن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها لأنه يعتقدها قربة من أجل ذلك لا يلجأ إلى التوبة منها فيظل متمسكاً بها إلى انتهاء أجله بينما صاحب المعصية يعلم أن ما يفعله معصية فهو يقبل على التوبة .

* ما أحييت بدعة إلا وأميتت سنة .

* أنها من أحب الأشياء إلى إبليس لما فيها من زيادة على هذا الدين الكامل .

* هذه مقدمة مهمة قبل البدء في مبحثنا الأساس وهو ما يتعلق بما لحق بالمسجد الأقصى من أمور تعبدية لا تصح ، وتسميات خاطئة ، وأمور لا نص على مشروعيتها ، وقد بالغ بعض من كتب في فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس حتى أورد الضعيف والموضوع والأقوال والمرويات التي خالفت النص الصحيح فيما جاء عن النبي محمد ﷺ في فضل المسجد الأقصى وأرض فلسطين والشام بأكملها ، أبدأها بتسمية المسجد الأقصى حرم :

البدعة أخطر وأعظم على صاحبها من المعصية لأن فيها إماتة للسنة وعدم إقرار بمخالفتها للتشريع

● الخطأ الأول : تسمية المسجد الأقصى حرماً

من الأخطاء الشائعة والدارجة على الألسن بين عوام الناس وخاصتهم القول بأن المسجد الأقصى حرم ، وتسميته بالحرم الشريف .

●●● قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 817) « : الأقصى اسم للمسجد كله ، ولا يسمى هو ولا غيره حرماً ،

إنما الحرم بمكة والمدينة خاصة» ، وقال في المجموع (26/ 117) : «وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ، ولا غيره ، إلا هذان الحرمان ، ولا يسمى غيرهما حرماً كما يسمى الجهال ؛ فيقولون : حرم المقدس ، وحرم الخليل . فإن هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين ، والحرم المجمع عليه حرم مكة ، وأما المدينة فلها حرم أيضاً عند الجمهور ، كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ .

● والذي عليه جمهور علماء المسلمين أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد النبي ﷺ ويليه في الفضل المسجد الأقصى .

وقال عبد الله بن هشام الأنصاري المتوفى سنة 671 هـ – رحمه الله – في كتابه« تحصيل الأنس لزائر القدس » : ... وما سمعته من كبار أهل البلد أنهم يقولون : حرم القدس فيحرمون ما أحل الله افتراءً على الله ، ونعوذ بالله من الخذلان .

بيت المقدس ليس حرما لأن الحرم هو : ما يحرم صيده وشجره وله أحكام تخصه عن غيره ومن الخطأ تسميته بذلك

●●●

وقال ابن القيم – رحمه الله – (زاد المعاد ا/ 53) : فذوات ما اختاره الله واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست لغيرها ، ولأجلها اصطفاها الله ، وهو سبحانه فضلها بتلك الصفات ، وخصها بالاختيار ، فهذا خلقه ، وهذا اختياره ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾(القصص : من الآية68) .

ومن هنا يفهم أنه لا يجوز تحريم أمكنة لم يجعلها الله حرماً ، وبهذا يظهر خطأ وبدعية من قال : إن المسجد الأقصى حرماً ، وتسميتهم إياه : بالحرم الشريف ، وكذلك القول بأن المسجد الأقصى ثالث الحرمين عبارة غير دقيقة من حيث الاصطلاح الشرعي لأن الحرم هو : ما يحرم صيده وشجره وله أحكام تخصه عن غيره ، أما بيت المقدس فإنه لا يحرم صيده

ولا شجره ، كما هو الحال في المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة وذلك باتفاق العلماء ، والبعض تجاوز حتى أطلق على المسجد الإبراهيمي في الخليل مسمى« الحرم الإبراهيمي» وهذا لا يجوز لأنه تحريمٌ لهذا المسجد الذي لم يجعله الله حراماً .

قال شيخ الإسلام في المجموع (27/ 148) : «والدين دين الله بلغه عنه رسوله فلا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ، والله تعالى ذم المشركين لأنهم شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله ، فحرموا أشياء لم يحرمها الله كالبحيرة والسائبة والوصيلة ، وشرعوا دينا لم يأذن به الله كدعاء غيره وعبادته والرهبانية التي ابتدعها النصارى» .

* ومن أسمائه الثابتة في الكتاب والسنة « المسجد الأقصى » ،« وبيت المقدس» ، «ومسجد إيلياء» ، والمسجد الأقصى فيه من الفضل ما فيه ، ولا نضيف في مسمياته ما لم يشرعه الله تعالى ، وكذلك صخرة بيت المقدس قيل فيها الكثير من الفضل الذي لم يثبت في الكتاب والسنة ، وإليك التفصيل :

من الأخطاء الشائعة إطلاق لفظ المسجد الأقصى على مسجد قبة الصخرة الذهبية في وسائل الإعلام وغيرها

●●●

● **الخطأ الثاني : إضفاء القدسية على صخرة بيت المقدس**

من الأخطاء الشائعة حول المسجد الأقصى أن للصخرة المبني عليها القبة الذهبية والتي تسمى (مسجد قبة الصخرة) - والتي تركز عليها وسائل الإعلام الإسلامية والعالمية على أنها هي المسجد الأقصى - أن لها قداسة خاصة ، وقد ظهر من بعض المسلمين المغالاة في تقديس الصخرة ووصل الأمر بهم إلى حد التجاوز والإفراط حيث قيل في صخرة بيت المقدس :

1- كان عليها ياقوتة تضيء بالليل كضوء الشمس ولا تزل كذلك حتى خربها بختنصر .

2- أنها من صخور الجنة .

3- تحول صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء .

4- إليها المحشر ومنها المنشر .

5- سيد الصخور صخرة بيت المقدس .

6- مياه الأرض كلها تخرج من تحت الصخرة .

7- صخرة معلقة من كل الجهات .

8- عليها موضع قدم محمد ﷺ .

9- وعليها أثر أصابع الملائكة .

10-الماء الذي يخرج من أصل الصخرة .

11- أنها على نهر من أنهار الجنة .

12- المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس .

13- عرش الله الأدنى ، ومن تحتها بسطت الأرض .

14- الصخرة وسط الدنيا ، وأوسط الأرض كلها .

15- عُرج بالنبي ﷺ منها إلى السماء ، وارتفعت وراءه ، وأشار لها جبريل أن اثبتي .

16- لها مكانة كالحجر الأسود في الكعبة .

من أخطاء الفضائل المتعلقة بالمسجد الأقصى أن صخرته مرتفعة عن الأرض ومعلقة من كل الجهات

●●●

● وقد أنكر علماء المسلمين هذا التعلق بالصخرة ، وبينوا أنها صخرة من صخور المسجد الأقصى ، وجزءٌ منه ، وليس لها أية ميزة خاصة .

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى مجلد 27 - كتاب الزيارة ص12) ذلك بقوله :« أما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة ، وما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ ، وأثر عمامته ، وغير ذلك ؛ فكله كذب ، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب ، وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى - عليه السلام - كذب ، وإنما كان موضع معمودية النصارى ، وكذا من زعم أن هناك الصراط والميزان ، أو أن السور الذي يضرب بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد ، وكذلك تعظيم السلسلة أو موضعها ليس مشروعاً» .

● والصخرة لم يُصَلِّ عندها عمر - رضي الله عنه - ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة ، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر ، وعثمان ، وعلي ، ومعاوية ، ويزيد ، ومروان ، وبنى عليها عبد الملك بن مروان القبة .

ما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ وأثر عمامته، وغير ذلك ؛ فكله كذب، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب

وقال : « إن عمر بن الخطاب لما فتح البلد قال لكعب الأحبار : اين ترى أن أبني مُصَلى المسلمين؟ قال : ابنه خلف الصخرة : قال خالطتك يهودية ، بل أبنيه أمامها ، فان لنا صدور المساجد . فبنى هذا المصلى الذي تسميه العامة «الأقصى» ولم يتمسح بالصخرة ، ولا قبّلها ولا صلى عندها ، كيف وقد ثبت عنه في الصحيح : أنه لما قبل الحجر الأسود قال : (والله إني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا إني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك) .

●●●

● وقد ضعف الإمام ابن القيم كل الأحاديث الواردة في الصخرة ، فقال في المنار المنيف ص87 ، 88 : (وكل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى ، والقَدَم الذي فيها كذب موضوع مما عملته أيدي المزورين ، الذين يروجون لها ليكثر سواد الزائرين ، وارفع شيء في الصخرة أنها كانت قبلة اليهود ، وهي في المكان كيوم السبت في الزمان ، أبدل الله بها هذه الأمة المحمدية الكعبة البيت الحرام ، ولما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبني المسجد الأقصى استشار الناس : هل يجعله أمام الصخرة ، أو خلفها؟ فقال له كعب يا أمير المؤمنين : ابنه خلف الصخرة ، فقال يا ابن اليهودية ، خالطتك اليهودية ! بل أبنيه أمام الصخرة حتى لا يستقبلها المصلون ، فبناه حيث هو اليوم .

● وقال عبد الله بن هشام صاحب كتابه «تحصيل الأنس لزائر القدس» (مخطوط ص 64) : « قد بلغني أن قوماً من الجهلاء يجتمعون يوم عرفة بالمسجد ، وأن منهم من يطوف بالصخرة ، وأنهم ينفرون عند غروب الشمس وكل ذلك ضلال وأضغاث أحلام» .

قال الألباني رحمه الله : الفضيلة للمسجد الأقصى وليس للصخرة؛ وما ذكر فيها لا قيمة له إطلاقاً من الناحية العلمية

ومما تدل عليه عبارة صاحب المخطوطة : أن هناك تجاوزات لبعض عامة الناس في تقديس المسجد الأقصى ، وكان رفض قاطع من علماء المسلمين لهذه التجاوزات ، وتحذير العامَّة منها .

● ويقول شيخنا محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – عن تقديس الصخرة في المسجد الأقصى : « الفضيلة للمسجد الأقصى وليس للصخرة ؛ وما ذكر فيها لا قيمة له إطلاقاً من الناحية العلمية ، ولا ينبغي تقديس ما لم يقدسه الشرع ، ولا تعظيم ما لم يعظمه الشرع» .

●●●

ومما يذكر في سيرة الصحابة وأئمة المسلمين أنهم إذا دخلوا المسجد الأقصى قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في(اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) جـ 2 ص 817 : «وأما المسجد الأقصى فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، وهو الذي يسميه كثير من العامة اليوم : الأقصى ؛ والأقصى اسم للمسجد كله ، ولا يسمى هو ولا غيره حرماً ، وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة» .

فقد بنى عمر المصلى الذي في القبلة ، ولم يصل عمر ولا المسلمون عند الصخرة ، ولا تمسحوا بها ، ولا قبلوها . . وقد ثبت أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه ، وصلى فيه ، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها ، ولا يقرب شيئاً من تلك البقاع ، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين ، كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم ؛ فصخرة بيت المقدس باتفاق المسلمين لا يسن استلامها ولا تقبليها ولا التبرك بها كما يفعله بعض الجهال ، وليس لها خصوصية في الدعاء ، ويجب تحذير المسلمين من هذا الفعل .

صخرة بيت المقدس باتفاق المسلمين لا يسن استلامها ولا تقبليها ولا التبرك بها كما يفعله بعض الجهال، وليس لها خصوصية في الدعاء

● ولم يثبت حديث صحيح في فضل الصخرة ، وكل ما قيل فيها لا يصح سنده إلى رسول الله ﷺ .

وروى مسلم في صحيحه عن مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتون من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ، ولا يفتنونكم» .

● وقد برر البعض ممن كتب في فضائل بيت المقدس التساهل في

●●●

التدقيق بالأحاديث الواردة من باب أن فضائل الأعمال يعمل فيها بالأحاديث الضعيفة وقد تجاوز البعض حتى نقل المكذوب والموضوع وأخذ من كلام القصاص مما لا ينبغي ذكره .

● ويقول شهاب الدين أبو محمود المقدسي (في مخطوطة مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) وهو يرفض التجاوز في تقديس المسجد الأقصى ، والوصول به إلى ما فوق المنزلة المقبولة في عقيدة الإسلام : «قاتل الله القصاصين والوضاعين ، كم لهم من إفك على وهب وكعب - يعني كعب الأحبار ووهب بن منبه أسلما بعد أن كانا يدينان باليهودية- ولا شك في فضل هذا المسجد ، ولكنهم قد غَلَوا» .

والبعض يسرد تلك الأحاديث ولا يشير أدنى إشارة إلى ضعفها ووهنها ، بل ويروونها وكأنها من الصحاح التي لا خلاف فيها .

تنبيه الناس على أمر صخرة بيت المقدس لا يقلل من فضائل المسجد الأقصى الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة

●●●

● وتنبيه الناس على أمر صخرة بيت المقدس لا يقلل من فضائل المسجد الأقصى فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز العديد من الآيات التي خصت المسجد الأقصى وبيت المقدس بالبركة والفضيلة ، وثبت عن رسول الله ﷺ في كتب الصحاح والسنن الكثير من الأحاديث التي نصت على ما حباه الله تعالى من الخير والبركة ، وبينت الخصائص التي تميز بها المسجد الأقصى وأرضه لما لها من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الشرع الإسلامي .

وكما قيل مهما جلست تحدث بفضائل المسجد الأقصى فلن تنتهي إلى ما انتهى الله إليه في قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بعَبْده لَيْلاً منَ الْمَسْجد الْحَرَام إلَى الْمَسْجد الْأَقْصَى الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لنُرِيَهُ منْ آيَاتنَا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء :١) .

ولا شك أن بركة المسجد الأقصى ثابتة بالكتاب والسنة ، ولنا غنى في الصحيح منها عن الموضوع والمكذوب .

والخلاصة : أن كل ما قيل في هذه الصخرة أصله من أهل الكتاب وليس له أصل في كتب العقيدة الإسلامية ، ولا في الصحيح من حديث النبي ﷺ .

● وختاما فإننا نشهد في هذه الأيام اندثارا لكثير من البدع التي كانت في فلسطين والمسجد والأقصى وذلك بفضل الله تعالى ثم بجهود الدعاة السلفيين الذين يدعون إلى الله على بصيرة ، وإننا من خلال تخصيص الأرض المقدسة بهذا البحث نعتقد بأهمية أرض فلسطين وبيت المقدس في قلوب جميع المسلمين لا كما يدعي بعض الفرق الباطنية واليهود والمستشرقين بأن المسجد الأقصى غير مقدس عند المسلمين لإبعادهم عن هذا المكان الطاهر الذي أخبر النبي ﷺ بأنه مكان الطائفة المنصورة وغيرها من الفضائل العظيمة التي أخبر عنها النبي ﷺ .

والله نسأل أن يطهر أرض فلسطين من اليهود الغاصبين وأن يطهرها من البدع وأن يعيدها للمسلين إنه سميع مجيب .

بركة المسجد الأقصى ثابتة بالكتاب والسنة، ولنا غنى في الصحيح منها عن الموضوع والمكذوب ويكفيه أنه مكان الطائفة المنصورة

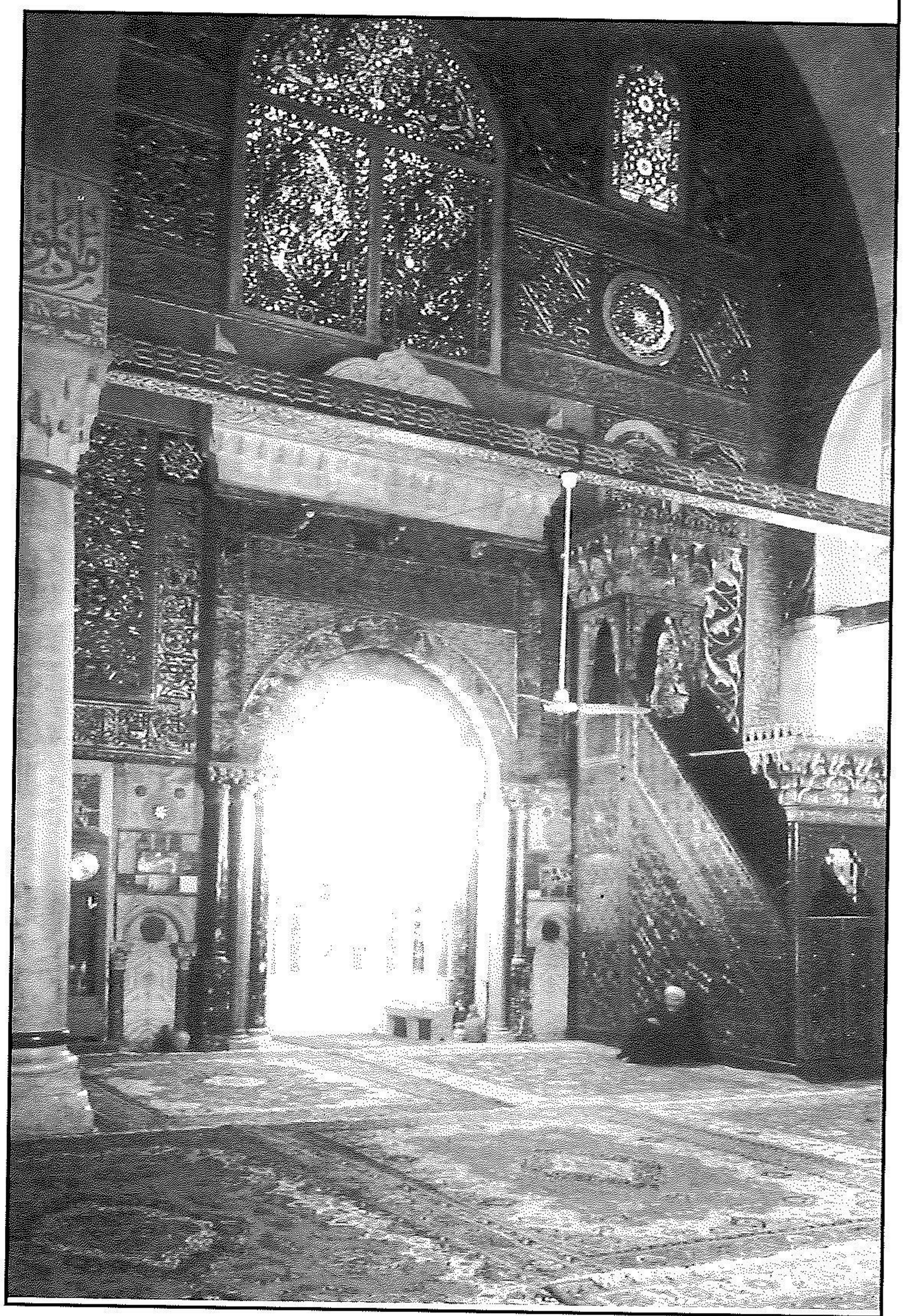

□ محراب المصلى الجامع.